التقديم :

https://nidaulhind.blogspot.com

مدونة علمية دعوية فكرية

(راجيا دعائكم)

مشاكل فى التاريخ الهندى

خطبة للدكتور چكرورتى

لقد قطعت دراسات التاريخ الهندى وخاصة تاريخ الهند القديم شوطا بعيدا خلال ربع القرن الماضى. وباكتشاف آثار مدينتى «موهجو دارو» و «هارابا» احتل تاريخ الهند وحضارتها مكانة سامية بين حضارات العالم القديمة. فى الوقت الذى زادت معرفتنا إلى حد كبير من ناحية بسبب هذه الاكتشافات وغيرها، نشأت من ناحيـة أخرى مشاكل جديدة تحتاج إلى إيضاح. وهذا لا يصدق على فترة التاريخ الأولى فحسب، بل يصح كذلك عن الفترة التاريخيـة التى نملك عنها مصادر مكتوبة زودتنا بها دار الآثار التاريخية. وقد حلت بعض المشاكل، ولكن هناك الكثير غيرها — بعضها كبير والبعض الآخر صغير — ما زال يحيرنا. وأقترح أن أبسط أمامكم بعضها ولست أقصد بذلك تقديم حلول لها، ليس لأنى لا أرغب فى ذلك بل لأن الحلول المرضيـة فى معرفتنا بوضعها الحالى ليست متيسرة

ولهذا ستكون ملاحظاتى فقط على شكل عرض للدليل الناقص الذى نملكه اليوم. ولكن قبل أن أفعل ذلك أود أن أذكر حضراتكم أنى لست إلا عالم الآثار والمنقوشات بالمهنة والممارسة.

والتمس العفو إذا نظرت إلى الأمور من هذه الزاوية. إن هذا لا يعنى أنى لا أقدر آراء الآخرين. نحن ربما نختلف فى آرائنا ولكن علينا ألا ننسى أننا جميعا نعمل فى سبيل غاية واحدة وهى الوصول إلى الحقيقة. إن هدفنا واحد مع أن السبيل ربما يكون مختلفا. إن مواد تاريخ الهند القديمة لدينا

ضئيلة وحتى ما لدينا منها يتطلب دراسة وافية قبل أن نصل إلى استنتاجات ثابتة .

لن أذكر شيئاً هنا عن فترة ما قبل التاريخ التى تبدأ بظهور الانسان على الأرض، ولكن له فى الوقت ذاته صلة. ففى حالات معينة ربما يعود إلى آلاف من السنين، وفى حالات أخرى غيرها يرجع إلى ألف سنة خلت أو ما شابه، كما وجدنا من تجربتنا فى الهند، وحتى فى حالات أخرى ربما تعود إلى بضع قرون فقط .

وإذ ننتقل الآن إلى حضارة « هارابا » نجد أن علماء الآثار عرفوا تاريخها من اتصالها بمدن بلاد ما بين النهرين فى حقبة التاريخ الأولى. والتى دلت الآثار والاعتبارات الأخرى على أنها ازدهرت فى النصف الأخير من القرن الثالث وما قبلها من العصر الألفى الثانى قبل الميلاد. وأكبر برهان على ذلك هو عدد الأختام المصنوعة على نمط « هارابا » وكذلك بعض المسابح والفخار الذى اكتشف فى أماكن مختلفة فى المنطقة. و « السير مورتيمر ويلر » حدد الفترة بين ٢٣٠٠ و ١٥٠٠ ق . م . على وجه التقريب فى كتيبه الذى نشره مؤخراً حول « حضارة الاندس » (إندس هو نهر السند) — وكان هذا المنشور ملحقاً لمؤلف كمبريج فى تاريخ الهند . وهو يورد أن الآريين مسئولون عن تخريب هاتين المدينتين . ومع ذلك فان هذا الموضوع وثيق الصلة بعصر « رگويدا » وبظهور الآريين فى الهند . ولقد كان تاريخ عصر « رگويدا » موضع جدل خلال ثلاثة أرباع قرن .

إن الآراء تختلف ليس بمدى القرون بل بفترة آلاف سنة. هذه التواريخ تمتد عادة بين ٣٠٠٠ و ١٠٠٠ سنة ق . م . باستثناء أبطال النظريات الملكية التى تمسك بها أمثال تيلك وجاكوبى اللذين ذهبا إلى فترة أبعد بكثير .

والنقطة الوحيدة الأكيدة هى أن الأدب الويدى اكتمل قبل نشوء الحيية

والبوذية فى الهند. وفى الوقت ذاته لا يساعدنا ذلك كثيرا إذ أنه ينقلنا فقط إلى ٦٠٠ و ٥٠٠ ق. م. ولا بد أنه استغرق عدة قرون للوصول إلى المرحلة التى نجد الأدب الويدى فى عهد مهاويرا وگوتاما بودا.

وحوالى نهاية الشطر الأول من القرن الحالى فكر كثيرون بأن الجدل حول هذا الموضوع قد انتهى بشكل مرضى بالاكتشاف الذى قام به هوجو ونكلر Hugo Winkler فى «بوغازكى» بآسيا الصغرى فى مجموعات الحيثيين من لوحات الطين التى وجد بها سجل من المعاهدات التى أبرمت بين ملوك الحيثيين وحكام ميتانى حوالى ١٤٠٠ ق. م. وفى هذا السجل وجدت من بين آلهة ميتانى أسماء أربعة منهم ميترا، وواروبا، وإندرا، والإلهين التوأمين ناستياس. وقد وجدت فى المجموعات ذاتها أربعة ألواح تحتوى على سدة حول تدريب الخيول وتوليدها، وضعها ككولى (Kikkuli) مؤلف من ميتانى، واستعمل اصطلاحات تتصل بسباق العربات لها صلة بالسنسكريتية مثل ايكاورتانا وترىورتنا وغيرهما. ولسوء الحظ لم تكتشف نصوص مكتوبة فى هذه اللغة حتى الآن ولكن هذه الأمثلة القليلة فيها البرهان الكافى على أن لغة الطبقة الحاكمة فى ميتانى كانت على الأقل هندية آرية. وربما كان الحل سهلا لو أمكننا قبول نظرية أساتذة مثل أدوارد ماير، وبيتر جيلز، واولدنبرج، بأن هؤلاء الآلهة كانوا ينتمون إلى قبيلة عربية وإنهم ورثوها والهنود الآريون من مصدر مشترك. ولكن يشير جاكوبى، وكونو، وهلبراندت أن هذه الآلهة ويدية آرية، فلا يمكن تكوين رأى آخر. وفى تلك الحالة إن نفرض أنه كانت هناك هجرة آرية منعزلة بالعودة إلى الغرب، فعلينا قبول الامكانية أن الآريين قد استوطنوا على أراض هندية قبل هجرة كهذه بزمن طويل. ولهذا فان تقديم برهان أكيد تأييدا لهذه النظرية محفوف بالصعاب. وعلماء الآثار من ناحية أخرى يجمعون على أن حضارة هارابا لا بد أن تكون قبل الحضارة الآرية، وإذا صح تحديدهم للحد الادنى من هذه الثقافة فلا بد من الاعتراف بأن ميتانى كانت

نقطة الاتصال أبان هجرة الآريين الذين أصبحوا فى النهاية أسياد إقليم الاندس بعد هزيمة السكان الأصليين.

ولكن من كان هؤلاء الناس، ومن أين جاءوا فى الأصل؟ ليس مؤكدا أيضا. فيقول البعض أنهم أتوا كذلك قبل ذلك التاريخ من إقليم البحر الأبيض المتوسط، ويقول آخرون أنهم كانوا دراويديين قدموا من الغرب، ويقول غيرهم أنهم كانوا دراويديين ولكنهم فى الأصل من الهند.

والنظرية التى بسطها المؤرخ التشيكى «هروزنى» الذى لمع اسمه لأول مرة بقوله إن اللغة التى وجدت فى الألواح الحيثية هى من أصل هندى - أوربى، هى أكثر غرابة. فهو يقول بدليل الأختام وعلى ضوء تحليله لها إن شعب الأندس كان خليطا من الحيثيين والهوريين والسومريين البابليين والآريين الأصليين الذين بدأوا بهجرتهم لهم من شرق آسيا الصغرى وشمال سوريا والجزء الشمالى الغربى من بلاد ما بين النهرين، احتلوا وادى الاندس الخصيب وتملكوه فى النصف الأخير من العصر الألفى الثانى ق. م. وقد أحضرت بهذه الأمة معها أول عناصر الكتابة من شمال سوريا وأدخلوا كتابة مستقلة تقوم على أساسها. وهو يذهب حتى إلى أبعد من ذلك ويحاول تكوين صورة لما حدث بعد ذلك. فهو يقول: «إن المدن ومعها الثقافة الهندية الأصلية قد اندثرت أثناء الغزو الأجنبى الذى جاء من الجزء الشمالى الغربى من الهند حوالى ٢٠٠٠ ق. م. وقد دمرت المدن الهندية الأصلية، بما كان لها من غنى وعزة، وكذلك المراكز الاقتصادية على طرق القوافل القادمة من الغرب، وذبح سكانها بدون رحمة كما نسفت بقايا الهياكل. ولم يقطن أحد فى المدن لألوف من السنين. ولعل الغزاة المسئولين عن تدمير الثقافة الهندية القديمة هم الدراويديون الذين بقيت آثارهم القليلة فى السكان الذين عرفوا باسم براهوى (Brahui) والذين استوطنوا فى جبال بلوجستان. ويصعب القول من

أين أتى هؤلاء الدراويديون إلى الهند. والمحتمل أنهم قدموا من الشمالى الغربى».

يقول المؤرخ أيضا إن هؤلاء الدراويديين امتزجوا ببقايا الهنود الأصليين القدماء بين ٢٠٠٠ و ١٥٠٠ ق م وسيطروا على الجزء الشمالى الغربى من الهند إلى أن نكب ذلك الجزء من البلاد بغزوة ثانية، فى هذه المرة من قبل الهنود الويديين والأقوام المتفرعة عنهم بما فى ذلك أهالى ما بين النهرين والميتانيين السوريين الفلسطينيين

لقد أشرت إلى نظرية هروزنى لسببين

(١) مع أن هروزنى كان موضع النقد الشديد من قبل عدة من المؤرخين الغربيين الباحثين فى الثقافة القديمة، لم أجد أى إشارة لنظرياته من قبل المؤرخين فى الهند.

(٢) عندما وضع نظريته عن الأصل الهندى - الأوربى للغة الحيثية انتقدت بشدة أيضا فى بادئ الأمر. ولكنها برهنت على صحتها فيما بعد. وهناك بالطبع عدة نقاط فى نظريته لا يمكن إثباتها بالحجة، أو لا بد من تعديلها على أساس برهان جديد يؤخذ من إكتشافاتنا الأخيرة وإذا أنصفنا المؤرخ فيجب علينا الاشارة إلى أنه هو نفسه يقول إن استنتاجاته موضوعة «بتحفظ بالغ».

ونأتى الآن إلى الدرايدويين فنقول إن موضوع نصيب ثقافتهم فى ثقافة الهند قد شغل اهتمام مؤرخين آخرين كثيرين أيضا لفترة طالت من الزمن. فليس ثمة اعتقاد بعد الآن أن لغات الدراويديين كانت دائما محصورة فى جنوب الهند ومنطقة صغيرة فى بلوخستان. فقد دلت آخر الأبحاث أن الدراويدية انتشرت كثيرا فى العصور القديمة فى أجزاء أخرى من الهند أيضا. ويعزز هذا البرهان أسماء كثير من الأماكن فى شمال الهند، ووجود العنصر الدراويدى القوى فى اللغة الآرية من الويديين ومن تبعهم، والأثر الدراويدى الأكيد على التاريخ الثقافى فى

الهند فى كل فرع تقريبا. وقد حاول بعض الباحثين إعادة هذا الأثر حتى إلى ما وراء حدود الهند. ففى السنوات الأولى من القرن الحالى أشار « تورب » إلى أوجه شبه معينة بين الدراويدية والاتروسكية (Etruscan). وفى عام ١٩٢٧ حاول كلمنس شوبر فى مؤلفه (Altdravidisches, eine namenskundliche untersuchung) أن يبرهن على أن أسماء أماكن كثيرة، ليس فى إيران وحدها بل فى أوربا أيضا، يجب أن تقرن باللغات الدراويدية، ولكن نظريته لم تلق قبولا دوليا. و مؤخرا حاول هاينر مود فى مؤلفه « اندیش فروكلتربن » أن يثبت أن أشكال الفن التى وجدت فى الآثار الحرفية فى كريت والهند، هى متصلة مع مركز ثقافى فى سوريا وبلاد ما بين النهرين حوالى نهاية العصر الألفى الرابع ق. م. والذى فى اعتقاده لم يسبق الثقافات الآرية الهندية فحسب، بل الثقافة السومرية أيضا. وقد عرف كذلك أن بعض الآلهة كالالهة الأم وشيوا من بين آخرين هم فى الأصل فى الثقافة ما قبل الآرية.

وقد أظهر مؤخرا البروفسور « كرفل » فى كتابه (Die dreikoepfice Gottheit) أن الاعتقاد بالاله ذى الرؤس الثلاثة كان سائدا كثيرا بين أجناس شعوب البحر الأبيض المتوسط.

وفى مؤتمر المستشرقين الدولى الذى عقد فى كمبريج هذا العام لفتت الأديبة هومبرجر فى رسالتها « العناصر الدراويدية فى مصر وافريقيا » الأنظار إلى عدد من الكلمات الموجودة فى اللغـــة المصرية القديمة لها شبه فى لغة جنوب الهند. ولكن هذا الأساس فى البحث لا يزال فى مرحلة بدائية ويبدو أنه من سبق القول الخروج باستنتاج معين ما.

وأود أن أوضح أننى لا أعنى باستعمال كلمة « دراويدية » اللغة التى يتحدث بهـا الناطقون الآن بلغة التاميل. ومع أن البعض يدعى بالعثور على أثر

قـديم يرجع إلى القرن الثانى ق. م لأدب سحم (التاميلية) فى مراحله الأولى، قد ثبت أن اللغة التى وجدت به لا يمكن أن تعود إلى قبل ٥٠٠ سنة ميلادية. ولدينا أيضا منقوشات تناقص الأثر القديم عن الأدب التاميلى ويبدو إنها لم يعتنى بها حتى الآن. وقد عثر على عدد من السجلات القصيرة محفورة فى ملجأ صخرى طبيعى فى مطقتى «مدورا» و «تنيلى». ومثل هذه السجلات كذلك وجدت مكتوبة على الحرف اثناء التنقيب فى «اريكاميـدو». وهذه المخطوطات من ناحية الكتابات القديمة يجب أن توضع فى القرن الثالث أو الثانى قبل الميلاد. اللغة المستعملة فيها هى اللغة التاميلية الصحيحة، المختلفة كلية عن تلك الموجودة فى الأدب القديم والمعاصر وواضح أن لغة التاميل فى هذه الفترة كانت لا تزال فقط فى دور التكوين.

وهنالك عقبة تعترض سبيل حل مشكلة «هارابا»، وهى عجزنا عن تحليل رموز الكتابة التى وجدت على الأختام واللوحات والحرف. وقـــد بذلت محاولات كثيرة حتى الآن ولكن لم تثبت صحة احداها إلى اليوم. وأراد لاجـدن وهنتر أن يقربا هذه الكتابة بالبراهمية فى فترة حد متأخرة. و «جاد» من اصحاب المتحف البريطانى الذى تعتبر رسالته على «الأختام فى اسلوب هارابا وجدت فى «اور» وأماكن أخرى» ادبياً، وجد بعض الكلمات السنسكريتية فى تلك الأختام. وذكر ميريجى العالم الايطالى أن معظم الرموز هى كتابة تصويرية تعبر عن كلمات بأكملها من أصل براهوى- دراويدى قديم

وحاول همسى العلامة الهنغارى أن يقرن هذه الكتابة بالهيروغليفية المكتوبة على لوحة خشبية فى جزر الهند الشرقية بالمحيط الباسيفيكى. وفى الهنـد حاول الأب «هيراس براباث» وسوامى شانكر ناندا ايجاد حل، كل بطريقته الخاصة. ومن المحاولات الأخيرة تلك التى بذلها هرورنى لاظهار تشابه عجيب بين الرموز الهندية

الأصلية والكتابة الهيروغليفية الحيثية ».

وهذه المشكلة لسوء الحظ، وهى معادلة لعاملين مجهولين هما الكتابة واللغة، لا تبدو أنها أقرب إلى الحل إلى الآن. والعامل المحير فى كتابة هارابا هو أن شكلها بقى على حاله أكثر من سبعة قرون. ولم يجد أى أشكال راقية أو بسيطة تحمل صلة ما مع أى كتابة معروفة معاصرة أو غير ذلك.

ولم نكتشف كذلك حتى الآن أية كتابة بلغتين كتبت إحداها بلغة معروفة تكون مفتاحا. وليس لدينا حتى كتابة طويلة ذات ألواح متشابهة تهدى إلى تعبير صحيح. وأطول كتابة عرفت حتى الآن هى ما تحتوى على ١٧ مقطعا، بينما العدد المعروف عادة هو حوالى ستة. ولذا فان كل تخمين ظهر حتى اليوم والحالة هذه يجب أن يعتبر فرضيا. ومع ذلك لا يجدر بنا أن نقنط. ربما تعطينا البحوث والاكتشافات الواسعة الدليل المنشود. وهذا أكثر تشجيعا عندما يبدو أن أختام حضارة « منوان » فى « كريت » التى كتبت بخط سماه ايفانز بـ منوان لينر بـ (Minoan Linear B) قد حللت الآن على أنها تتصل باليونان القديمة وبذلك يرجع تاريخ اللغة اليونانيـــة بدلا من سنة ٨٠٠ إلى ١٤٠٠ ق. م. عندما دمر قصر منوان فى نوسس.

ونعود الآن إلى بحث حضارة « هارابا » مرة أخرى بالنسبة لعلاقتها بالآريين. فبعد اكتشافات ١٩٤٦ عن هارابا خرج الدكتور (الآن الســـير) مورتيمر ويلر بنتيجة مؤداها أن قلعة هارابا الحصينة سقطت أمام غزو الآريين. ومن الاشارات المتكررة فى رگويدا إلى لقب إندرا على أنه « بوراندرا » استخلص تأييدا قويا لهذه النظرية. وعزز هذا الفرض فيما بعد البروفسور ستيوارت بيجوت، ولكن الأساس الذى بنى عليه الدكتور ويلر هذا الكيان الجذاب من نظريته كان موضع النسيان دائما من قبل الباحثين الذين تبعوه. ففى هارابا يوجد مقبرتان واحدة فوق

الأخرى. فالمقبرة السفلى المسماة «ر ٣٧» (R 37) معاصرة لمدينـــة هارابا الراقيـــة. أما العليا ويرمز إليها بحرف «ه» (H) فتحتوى على أوعية جنائزية من نوع مختلف. فقال ويلر أن يعتبرها من صنعة طلائع القبائل الآرية المهاجمة.

وقـــد شاع هذا الحل فترة من الزمن. ولـكن الدراسات والاكتشافات الأخرى فى الهند فضحت ضعف الأسس التى أقيمت عليها هذه النظرية المتقنة السهلة. إذا، عرف أصحـاب مقبرة «ه» بأنهم من الآريين فكان علينا أن نتوقع وجود محتويات هـذه المقبرة فى أماكن أخرى فى البنجاب وفى الوديان الأخرى المقدسة لدى الآريين. ولـكن تلك المحتويات لم توجد فى أى مكان من هذه المناطق.

لقـــد أثمر عمل الذهـاب من المعلوم إلى المجهول فى الصاعة وأتى الضياء مؤخرا من ناحية أخرى. فان الخزف الأسود وشديد اللمعان الذى عرفه العلماء باسم الآنية السوداء اللامعة الشمالية وجد فى تاكسيلا ويعود إلى سنة ٥٠٠ - ٣٠٠ ق. م. وقـــد دلت التنقيبات الأخيرة فى السحاب وغربى اتر برديش وفى هستناپور على وجود آنية رمادية اللون طليت برسوم سوداء مميزة تحت الآنيـة السوداء اللامعة الشماليـة. والأكثر من ذلك أن الآنية وجدت فى الاقليم الذى وصف بأنه مقر الآريين القـدماء. وهكـذا أيد هذا الدليل أن شخصية صانعى الآنية الرمادية متصلة بالآريين.

ومع أن كشف الآنية الرمادية نقلنا خطوة أخرى، بقى علينا أن نجد موقفاً يمكن أن نقرن به الآنية مع آثار حضارة هارابا لسد الثغرة. ووصف هذا بانه حلم قبل بضع سنوات، ولهـذا استعيض عن ذلك بوسائل أخرى لسد الثغرة. ولـكن الاكتشافات الأخيرة فى «روپار» على شاطئ نهر «ستلج» على بعد ستين ميلا إلى الشمال من بلدة «امبالا» أظهرت سباقا كاملا متقطعا أحيانا من عهد

هارابا حتى العصور الوسطى. وهنا كشف المنقبون على الرمال النهرية مستعمرة ازدهرت فى عهد هارابا تحتوى على معدات كأوان نخارية والمسابح، والأساور، وأمواس الصوان، والأوانى النحاسية. ووجد أيضا ختما منقوشا ثلاثة رموز مألوفة لنا من الكتابة الموجودة فى موهنجودارو وهارابا. وفوق هذه الطبقة من المعدات وجدت الأوانى الحرفية الرمادية، ثم تحتها الأوانى السوداء اللامعة الشمالية.

وتعود الآنية الرمادية على وجه التقريب إلى سنة ١٠٠٠ - ٦٠٠ ق. م. وواضح أن فى روپار فترة بين اختفاء آثار الهرابيين ووصول السكان صانعى الآنية الرمادية. وتركت مدة هذه الفترة للتخمين. إذا كانت الآنية الرمادية من الصناعة المميزة للآريين القدماء، فالمشكلة هى ما إذا كان هنالك أساس لتخمين زمنها ابعد من الذى نخمسه الآن. وبعد أربعة قرون أو خمسة أخرى فى النهاية السفلى ستوضع الآنية الرمادية فى صف واحد مع الاثبات الأدبى عن وصول الآريين. الفترة المحددة للآنية الرمادية فى الحالة الموجودة هى بالطبع متباينة، لأنه لم يكشف تاريخ محدد حتى الآن من هذه المواد. وستكون اختبارات الاشعاع الكربونى ذات عون فى هذا السبيل.

ففى بنجاب على الأقل لا يبدو أن الهرابيين وصانعى الآنية الرمادية كانوا على اتصال ببعضهم. وربما كان الهرابيون — لأسباب لا تزال خافية علينا — قد بدأوا بالانتقال من البنجاب متجهين صوب الشرق والجنوب أو كليهما قبل مجىء صانعى الآنية الرمادية.

وننتقل إلى الفترة التاريخية فنرى أن أكبر عقبة فى إعادة بناء تاريخ الهند الشمالية، هى قلة المعرفة عن بعض العهود الأولى. وسأدرس هنا واحدا منها فقط وأقصد به عهد كوشانا. وعلى تحديد نقطة بدايته يتوقف حل عدة مشاكل فى

تاريخ شمال الهند وكذلك فيها، وبخاصة تطور الفن فى جندارا وماثورا. وكانت مسألة بدء تاريخ العهد موضع البحث لأكثر من ثمانين سنة، منذ بدأ به كننجهام وادوارد توماس فى القرن الماضى ولكن دون أن يتوفر حل حتى اليوم. وتتراوح التواريخ المقترحة من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث بعد الميلاد. وآخر الأبحاث فى هذا الموضوع تلك التى قام بها «ستن كوناو» وحرشمان ومدام فان لويزن دو ليو والدكتور ساها والدكتور سن گتا. وحدد حرشمان على ضوء إكتشافاته فى أفغانستان نقطة البداية عام ١٤٤ ميلادية وحددها كوناو فى الربع الثانى من القرن ذاته. ويرى آخرون أن ما يسمى بعهد كانيشكا كما ورد فى كتابات كوشانا على نمط البراهمى ليس سوى استمرار لعهد ساكا القديم، وبدأه كانيشكا حوالى عام ٧٨ ميلادية. ولكن الصعوبة الناشئة حتى الآن هى أن سجلات البراهميين عن ملوك كوشانا تقف عند سنة ٩٨ فى عهد فاسوديفا. ومع أنه أصبح مقبولا الآن أن ملوكا حكموا من سلالة أتت بعد فاسوديفا، إلا أنه لم توجد حتى اليوم سجلات القرن الثانى عن هذا العهد مؤرخة. واقترحت مدام دو ليو كحل لذلك أن المئات حذفت فى ماثورا وما حولها فى عهد كانيشكا فى القرن الثانى. وصرت عدة أمثلة فى كتابها «الفترة السيتية»، تعتقد بها تبعا للعادة الهندية القديمة أن التواريخ من ٥ إلى ٥٧ التى وجدت فى عدة سجلات من إقليم ماثرا تمثل حقيقة السنوات ١٠٥ إلى ١٥٧. وقد وافقها أيضا «ساها».

إن اهتمامنا يتجه بصفة خاصة إلى كتابتين: الأولى فى سنة ٨٦ والثانية فى سنة ١٥، ذكر فى احداهما شخصاً باسم «آرياڤاسولا». وقيل إنه لا يمكن إحتلال الشخص نفسه مكانة هامة فى طائفة «جين» لمدة ٧١ سنة. وآزاء ذلك وشواذ الخط الملحوظة فى الكتابتين تعتبر مدام دو ليو، السنة ١٥ على أنها حقيقة ١١٥ فى عهد كانيشكا. وبهذا تضيق الشقة بين الكتابتين إلى ٢٩ سنة فقط. ولكن الاجتهاد كله يبدو أنه

يقوم على أساس سوء فهم الكلمات الحقيقية، وهى «فاسوليا نرفارتنام» و«فاسوليا نفاتن» المستعملة فى الكتابتين. وقد ترجم بولر هذه الكلمات فى الأصل على أنها «بناء على طلب فاسولا» التى درج عليها الكتاب المتعاقبون، بينما الترجمة الصحيحة هى «لتحرير فاسولا». وليس من داع أن يعنى ذلك أنها كانت حية عند ما حفرت كلا الكتابتين. وحتى أنها كانت شخصية مهمة وربما كان أقاربها وأتباعها هم الذين قدموا التماثيل كما تروى الكتابتين حتى بعد أن فارقت الحياة. والأكثر من ذلك أن كتابة سجل العام ٨٦ تدل على أشكال مؤخرة ما بعد عام ١٥. ويجب ألا ننسى أن كتابة ماثورا القديمة تمثل عددا من النواحى المحيرة. فحدد أشكالا سابقة وجدت فى كتابات كثيرة فيما بعد. ونستشهد بواحدة فقط هى كتابة ماثورا فى عهد چندرگپتا الثانى سنة ٦١، وهى تظهر أشكال كوشانا الثابتة. وهناك أيضا أسباب أخرى للاعتقاد أنه لا يصح القول أن القرون حذفت فى كتابات كوشانا أو ما حوله. وفى ماثورا نفسه نجد كتابة أخرى التى تعود إلى سنة ٢٩٩. ونوع هذه الكتابة بالتأكيد هو كوشانا، وحتى لو قبلنا القراءة على أنها ١٩٩ كما تقترح مدام دو ليو بسبب الحركة على الجانب الأيمن من الرمز لكونها عرضية، فان الحل لا يبدو سهلا. ولتذليل الصعوبة اقترحت مدام دوليو أن العهد المقصود هنا هو نفسه الذى كان فى الجزء الشمالى الغربى. ولكن سبب هذا ليس واضحا تماما فهذه كتابة «جينية» بينما الكتابات التى فى الجزء الشمالى الغربى هى قطعا بوذية. لقد كانت ماثورا معقلا لمذهب الجينية، ولا يفهم مثلا لماذا يكون العصر فى الجزء الشمالى الغربى هو نفسه الذى فى «ماثورا» فقط فى مثال بمفرده. وسواء قرئ العام ٢٩٩ أو ١٩٩ فانه يدل على أن القرون لم تحذف حتى فى إقليم «ماثورا».

ومرة أخرى فان لوكاكالا التى وضعها البيرونى والتى استعملها الدكتور ساها مرجعا يبدو أنها تشير فقط إلى لوكيكا أو عصر سبتارشى الذى ساد فى كشمير والمناطق المجاورة والتى تحذف القرون فيها. وفضلا عن ذلك فى القرن الحادى

عشر حين أتى البيرونى إلى الهند، فان تقليد إسقاط القرون هذا، إذا كانت العادة المتبعة قديما فى حالة عصور أخرى، والتى ليس لدينا برهان عليها، لا بد وأنها كانت غير متبعة على الأقل فى الكتابات. وهنالك أيضا دليل آخر ضدها، فقد وجدنا عددا من الحكام فى كوسامبى لهم تاريخ معروف. وهم مهراجا جوتامى بوترا سيفاماجا (تاريخه مفقود)، ومهراجا بدراماجا (فى سنى ٨١ و ٨٣ و ٨٦ و ٨٧)، ومهراجا فيسرافانا (سنة ١٠٧) ومهراجا بهيمافارمن (١٣٠ و ١٣٩). وقبل بضع سنوات اكتشفت فى بندوجار فى ولاية ريوا سابقا حوالى ٢٠ مخطوطا براهميا تحتوى على أسماء الحكام وتواريخهم: مهراجا فاسيتيبوتا بهيماسينا (سنة ٥١)، وابنه المهراجا كوتشيبوتا بوتاسرى (سنة ٨٦ و ٨٧)، وابنه مهراجا كوسيكبوتا بداديفا (سنة ٩٠) وقبل هذا الاكتشاف كان اسم مهراجا بهيما سينا فقط معروفا من كتابة سنة ٥٢ التى وجدها كسحهام فى تلة جينجا وهى أيضا فى أمارة ريوا، ولكن على بعد ١٠٠ ميل تقريبا من بندوجار. ومن بين هذه الكتابات يوجد سجل لراجان فيسارافانا ابن مهاسيناباتى بدرابالا. وعلى مخطوط مجزء كتب اسم سيفاماجا، ولكن فقدت لسوء الحظ التفاصيل الأخرى والتاريخ، ولا يمكننا التيقن إذا كان متجانساً مع حاكم كوسامبى. فيسرافانا، كما يظهر باسمه راجان واسم والده لا بد وأن يكون غير حاكم كوسامبى الذى كان له نفس الاسم.

ولا يوجد أى دليل فى هذه السجلات عن صلتها بحكام كوسامبى، ولكن التواريخ تدل على أن بوتاسيرى على الأقل، وربما أيضا ابنه بداديفا، كانا معاصرين لبدراماجا. ويعتبر ميراشى أن بهيماسينا حسب الكتابة فى تل جينجا ينتمى إلى سلالة ماجها، ويقرن كذلك بدرابالا مع بدراماجا، وفيسرافانا من بندوجار مع حاكم ماجها سنة ١٠٧. ولكن هذه الدلائل كلها غير صحيحة. وأعتقد أن بدرابالا وفيسرافانا كانا الحاكين السابقين لهذه الأسرة تدل عليها ألقابهما مهاسيناباتى للأول

وياجان الثانى .

وربما كان بدرا بالا هو مؤسس الأسرة، ولدينا عدد كاف من الأمثلة للدلالة على أن لقب مهاسيناباتى فى القرون الأولى قبل عهد المسيح وبعده لا داعى لأن يكون عسكريا بل كان من ألقاب النبلاء. وقد حمل كافة الحكام بعد فيسرافانا لقب مهراجا مثل حكام كوسامبى. وأظهر التنقيب فى بهيتا أختام سيفاماجها وبهيما سينا. وليس هناك شك فى وجود بعض الصلة بين الأسرتين. ويتضح أنهم حكموا منطقة واسعة، ولعلهم كانوا تابعين لحكام كوسامبى لأن نقودهم لم توجد فى مكان ما حتى الآن. وليس من ريب كذلك أن العهد المستعمل فى الكتابتين هو واحد. وربما تكون النقود التى وجدت فى بهيتا ونسبت إلى براشنا سرى اجتهادا خاطئا عن بسفا سرى وربما لا يكون لها صلة ببوثاسيرى الواردة فى كتابات بدوحار.

والرسم فى هذه الكتابات هى أقدم من تلك التى وجدت فى سجلات گپتا، ولهذا يرى بعض المؤرخين أنها يجب أن تقرن بعهد كلاتشورى سنة ٢٤٨ ميلادية. ويختلف فى هذا الرأى ميراشى فيقول، كان الحكام الثلاثة على الأقل الذين نعلم تاريخهم معاصرين لأباطرة گپتا، وهم چندراگپتا الأول وسمودراگپتا وچندراگپتا الثانى وطالما أنهم حكموا فى كوسامبى فلا بد أنهم اعترفوا بسيادة أباطرة گپتا. ولكن لا تذكر أى من هذه الكتابات عن سيادة ملك ما من ملوك گپتا. وفوق هذا وجدت نقود الحكام الأربعة المذكورين وأيضا نقود الحاكمين الآخرين من نفس السلالة، وهما فيجاياماجا وساتاماجا اللذين لم تكتشف كتاباتهما حتى الآن وهذا يدل على مكانتهما المستقلة ولذا لا يمكن نسب تاريخهما إلى عهد گپتا أو عهد كلاتشورى، وإنما لعصر ساكا سنة ٧٨ ميلادية.

ولكن ربما يشير المرء إلى أن أسس اعتراض ميراشى على تاريخها فى عصر كلاتشورى ينطبق فى الوقت ذاته على عصر كوشانا الذى يبدأ سنة ٧٨ ميلادية،

إذ أن بعض السنوات من عهد حكام ماجا تقع أبان حكم بعض ملوك كوشانا وعلى الأخص فى عهد هوفيشكا وفاسوديفا اللذين وجدت نقودهما فى كوسامبى ولم يرد فى الكتابات ما يدل على أن حكام ماجا كانوا بأى نوع تابعين لملوك كوشانا.

أما فيما يختص بالتنقيب فى بهيتا فيقول مارشال أن الآثار التى عثر عليها مع أختام سيماماجا وغيره كانت فوق مستوى مايورا، ولذا لا بد أنها تعود إلى عصر كوشانا وتعطينا أعمال التنقيب التى قامت بها مؤخرا جامعة إله آباد أقطع دليل. فيقول شرى شارما الذى تولى عمليات التنقيب منذ بدايتها إن الاكتشافات أظهرت تسع فترات متفرعة من الفخار للسكان فى كوسامبى. ولم يظهر أثر لمخلفات كوشانا أو أختامها حتى الفترة الخامسة. وفى هذه الفترة ظهرت نقود كوشانا وأختامها لأول مرة. ويبدو أن حكام ميترا عاشوا فى هذه الحقبة. وآخر نقودهم هى باسم راجان ميترا وجيتا ميترا ويتراءى أن حكام كوشانا احتلوا كوسامبى فى النصف الأخير من الفترة الخامسة، وأول دليل هو ختم كانيشكا الذى يروى أسطورة مهراجا راجاتيراجا ديفابوترا كانيشكاسيا رايوح.

وأمكن العثور على نقود كانيشكا وهوفيشكا وفاسوديفا فى الفترة السادسة والتى أخرجت أيضا نقود نيما وماجا بينما وجدت فى الفترة السابقة نقود ماجا فقط. وفى الفترة الثامنة نقود سفاسرى. وكانت النقعة مهجورة قبل جانيدرا جانابتاجا الذى قهر سامودراجوبتا فى الربع الثانى من القرن الرابع الميلادى. ولا يسعنا، والحالة تلك، تعيين تاريخ الملوك المستقلين جميعا أى حكام بسفاسرى وماجا ونيما وكوشانا ضمن هذه الفترة إلا بالافتراض أن عهد كانيشكا بدأ حوالى عام ٧٨ ميلادية.

ويرى مما تقدم أن نقود الملوك الثلاثة — كانيشكا وهوفيشكا وفاسوديفا — وجدت فى كوسامبى. ونجد أيضا نقودا أخرى لا تنسب إلى كوشانا، وجدت

فقط فى الفترة السادسة مع نقود كوشانا. وهـذا سوف يدلنا على الاستنتاج الطبيعي أن حكام ماجا حكموا كوسامبى بعد فاسوديفا فقط. ولهذا يتراءى لأول وهلة أن تاريخ حكام ماجا لا بد ويعود إلى عصر آخر يكون بعد حكام كوشانا وقبل ملوك گپتا. والعهد الوحيد الذى يناسب هنا هو عهد كلاتشورى سنة ٢٤٨ ميلادية. ويقدم هـذه النظرية سداركر وحوش على أساس إعتبار الكتابة القديمة. وفضلا عن هذا تقرن المناطق التى وجدت فيها الكتابات بحكام كلاتشورى أو انها ملاصقة لأراضى الكلاتشوريين. ووجدت أقـدم سجل للكلاتشوريين فى تريبورى فى قلعة بندوجار. وهذه كتابات صغيرة تشير إلى تقديس تماثيل السمكة والسلحفاة والخنزير، وتمثيل تجسد حولاكا الشهير باسم جودا فى صورة الاله وشنو وكان حولاكا ابن نابو ووزير يوفراج ديفا الشهير.

والواجب نقرن هذا الحاكم بيوفراج الأول على ضوء الكتابة الأثرية. وهذه النظرة تبدو معقولة لأول وهلة ولكن إذا قبلناها فسيكون هنالك ثغرة كبيرة بحوالى ١٥٠ سنة بين كوشانا فاسوديفا — على افتراض أن عصر كانيشكا بدأ سنة ٧٨ ميلادية — وبدراماجا الذى تُعود أقدم كتاباته إلى عام ٨١. وحتى لو قبلنا وجود ملك أو ملكين قبل بدراماجا، لا تزال تظل الشقة واسعة. ولا تساعد الاكتشافات فى كوسامبى على سد هذه الثغرة. وللسبب عينه ليس فى الامكان دفع تاريخ عصر كوشانا إلى الوراء بكثير لأن الشقة فى هذه الحالة بين حكام ميترا وكوشانا سوف تتسع دون مبرر. وعدا ذلك، كما أشرنا من قبل، سوف يتحد عهد حكومة ماجا مع عهد حكومة گپتا، ولا يمكن تصور وجود أسرة ملوك مستقلة داخل أراضى گپتا. واكتشاف ختم كانيشكا وكتاباته فى كوسامبى سوف يظهر بالتأكيد أن كوسامبى كان تحت حكم كوشانا فى عهد كانيشكا.

ولكن هنالك حقيقة بارزة، هى أن كتابة فاسوديفا لم توجد خارج منطقة

« ماثورا » ولذلك لن يكون من غير المعقول الافتراض بأنه فقــد سيطرته على كوسامبى عندما استولى حكام ماجا على الحكم. واكتشاف نقود فاسوديفا لا يدل باللزوم على أن كوسامبى كانت تحت حكمه. وأكثر ما يدل عليه هو أن نقود كوشانا كانت رائجة ولو أن حكمهم كان قد انطوى. وتوجد هنالك أمثال أخرى من هـذه الناحية وإذا قبلت هذه النظرية حدد تاريخ كتابات ماجا فى عهد ساكا عام ٧٨ ميلادية، فلا يكون هنالك دخول عهد حكومة كوشانا على عهد حكومة ماجا وأيضا لا تبق هنالك شقة بينهما. ويمكن تذليل الصعوبة التى نجدها فى كتابات ماجا القديمة. ومع أن الكتابة فى سجلات ماجا تبدو للوهلة الأولى أنها فى فترة تالية، فقد أظهر ميراشى أن كافة الأشكال التى وجدت بها ربما تعاد إلى كتابات كوشانا أيضا وطالما أن السجلات تحتفظ بالقرون فهى بالصدفة تدل على أن التقليد لا يمكن أن يكون مختلفا عنه فى ماثورا. ولا يمكن أن نتصور حذف القرون فقط من قبل حكام كوشانا دون الآخرين فى ذات العهد فى منطقة مجاورة. ويجدر بى على أى حال الاشارة إلى اختلاف طفيف وجد فى تحديد تاريخ كتابات كوشانا وماجا الذى يتراءى أنه غاب عن ذهن الدكتور ساها. فى الوقت الذى ذكر التاريخ فى كتابات كوشانا بالسنين والموسم ويوم الشهر، استخدم ماجا النظام ذاته فى التواريخ كما وجد فى جميع الكتابات السابقة — مثل كتابات ساتا فانا وغيرهم. باستعمال السنة والموسم ويوم الشهر بل يوم الأسبوعين من الشهر. والمثال الوحيد الذى استعمل فيـه نظام كوشانا فى التواريخ خارج سجلات كوشانا هو كتابة « بودا - گيا » باسم مهراجا تريكامالا الذى يعود إلى سنة ٦٤ فى عهد لم يحدد. ولا يعرف شىء عن هذا الحاكم. ويصعب أن نقول بما لدينا من المعلومات كيف استعمل هذا الحاكم نظام كوشانا فى التواريخ.

وأنقل القارئ هنا إلى مشاكل أخرى تواجهها فى تاريخ الهند القديم. فهنالك مشاكل عديدة تتصل بتاريخ الأجزاء الشمالية والشرقية والغربية من الهند لا أجد المجال لبحثها الآن. وأذكر أن رأى المؤرخين ليس اجماعيا حول چندرگپتا بأنه أمضى أيامه الأخيرة فى سرفانا بلجولا المكان الذى فرض أنه هاجر إليه مع استاذه بادراباهو بصحبة أتباعه الآخرين. ولا يزال تاريخ امبراطورية موريا بعد حكم اشوكا غامضا. وقد عرف القليل عن تاريخ كاليجا بعد احتلال موريا. ولا بد أن مملكة كاليجا أعلنت استقلالها بعد اشوكا بقليل. ولكن ليس لدينا حتى الآن معلومات عن تاريخها المتصل باستثناء القليل الذى عرفناه عن كارافيلا.

ونأتى الآن إلى ستافانا (Sātavāhanas) ومسألة موطنهم الأصلى، وكذلك تاريخ تأسيس سلطانهم اللذين يحتاجان إلى إيضاح. فبينما يرى بعض المؤرخين أنهم أتوا من غرب الهند يشركهم آخرون بمناطق التلجو (Telugu) وأيضا يعتقد غيرهم أن «بيرار» كانت موطنهم الأصلى. وهنالك أيضا خلاف ملحوظ فى الرأى فيما يتصل بمشكلة ستافانا وتسلسلهم وصلتهم بالحل الذى أورده «بورانا».

أما فيما يختص بجنوب الهند، فان المشكلة الأساسية التى تتطلب إيضاحا، هى أصل التاريخ الأولى لكافة السلالات المهمة كسلالة اللافا (Pallavas) والتشولا (Cholas) والبـنديا (Pandyas) والتشلوكيا (Chalukyas) وراشتراكوتا (Rashtrakutas) وجنجا (Gangas). حتى اليوم ليس لدينا سوى قصص الأساطير عن أصل هذه السلالات. وتمييز سلالة «كلابرا» (Kalabras) التى احتلت جنوب الهند ردحا من الزمن ليس ثابتا أيضا.

وليس هناك رابطة سلالة أكيدة حتى الآن بين البلافا من اللوائح السنسكريتية والبراكريتية والسجلات الحجرية. واكتشاف كتابة أولتشالا فى عهد «تشلوكيا فيجايا دتيا» يضطرنا إلى إعادة النظر فى تاريخ تسلسل ملوك بلافا من باراميسفارا فارمن

الثانى حتى انهيار السلالة نهائيا على يد التشولا. واكتشاف لوحات كاراندای أيضا عن راجندرا تشولا تظهر حقائق جديدة معينة ويخلق مشاكل جديدة فى تاريخ بلافا. ونقصد به رمس انهيار سلالة بلافا نهائيا على أيدى ملوك التشولا، مع أن الرأى السائد هو أن قيام اديتيا الأول بضم أراضى بلافا حدث قبل عام ٨٩٠ ميلادية. أضف إلى ذلك تعريف شخصية ملك بلافا الذى هزمه راتناكا الأول لا بد من إثباته إذا كان قتال راتناكا ضد بلافا مختلفا عن القتال الذى نشب بين والده وبين أباراجيتا.

وسيبقى كذلك مكان أباراجيتا فى تاريخ سلالة بلافا وفترة حكمه غير ثابت حتى الآن. ولم تعرف حتى اليوم مكانة بلافا بعد مجىء أديتيا الأول إلى العرش. ولا يزال الغموض يلف تاريخ تشولا من اورايور قرب «تيروتشيراپالى» من القرن الرابع حتى القرن التاسع.

ومن أصعب أوجه تاريخ التشولا تلك الفترة منذ موت باراناكا حتى إعتلاء راجاراجا الأول وهناك أسئلة كثيرة يجب الرد عليها. فمتى مات باراناكا؟ وما هو بالضبط تاريخ آديتيا الثانى وكاريكلا الثانى؟ ومن هو بارتيفيندرا فارمن؟ إن ألواح كارانداى عن راجندرا تشولا تعزو لراجاراجا الكبير الانتصار على رئيس بانا وضرب عنق بوجاديفا. ولقد استعبد باراناكا الأول جماعة بانا ولا يمكن إثبات الضرورة التى دعت راجاراجا إلى محاربة أهالى بانا مرة أخرى. وهنا تبرز ثانية مشكلة كولوتونجا الأول هى ماذا فعل بنفسه فى الفترة ما بين موت والده واعتلائه العرش. ولا بد كذلك من تحرى الأوضاع التى اعتلى فيها العرش. وما هو آخر زمن عاش فيه خلفه أدهيراجندرا؟ فلسنا متأكدين من الصلة السياسية بين كولوتونجا وعمه فيجايادتيا أى عما إذا كانا على علاقة ودية أم لا. إن اقتصار عهد أدهيراجندرا هو مسألة لا تقبل ردا قاطعا. فلم يثبت نهائيا تعريف

شخصية راجندرا الثالث أو اعتلاؤه العرش أيضا.

ولم يثبت قطعا تسلسل تاريخ ملوك الباندبا الذين عاشوا قبل عصر سنحام من القرن السابع حتى العاشر. ومعرفتنا عنهم مستنبطة على الأغلب من بضع لوحات نحاسية ومن نقوش حجرية. ولم يتأكد أيضا تاريخ الحكام بين ١١٥٠ و ١٣٥٠ ميلادية. ونجد أنفسنا أمام عدد من الأمراء من الأسرة التى تولت الحكم فى الوقت ذاته فى نواح مختلفة من البلاد. فكيف اتصل واحد منهم بالآخر؟ هذا ما لا نعلمه. ويسود عدم اليقين أيضا فيما يختص بسيطرة الحكام فى كيرالا فى هذه الفترة. إن رؤساء كونجو بأسماء تشولا وباندبا، وباندبا من أتشانجى تعرض لنا مشاكل لها أهميتها ولكنها ليست أقل صعوبة. وهناك حاجة منذ أمد بعيد لمعرفة قصة متصلة للسلالات الصغرى المختلفة كسلالة موتوريار وأديجيان.

وإذ يتجه اهتمامنا إلى السلالات التى كانت تقطن مناطق كنارى نجد أنفسنا أمام مهمة محيرة فى تتبع أصل تاريخ ملوك غربى الجنجا وتحديده. فان أصلهم طى الغموض. وقد حدد أصل ملوك اكشفاكو وبراهما كشاتريا ويداقا وكانفا من قبل مختلف المؤرخين بعد أن تعجلوا باستنتاجاتهم.

ولم يتفق الرأى على تعيين موطنهم الأصلى حتى الآن، فان بعض الروايات تحدده فى حنجا بيرورو قرب كوداما التى تضم آثارا تاريخية من عهد قديم جدا، منها كتابة براهمية تعود إلى حوالى القرن الرابع.

إن تسلسل تاريخ الجنجا هو أيضا مشكلة عويصة. ومع أن وجود حكام هذه الأسرة الأوائل معروف فقط من اللوائح النحاسية لم يعد موضع نزاع، فان تسلسل تاريخهم ونظام تعاقبهم على الحكم لم يتأيد حتى اليوم. ولم تحدد كذلك فترتا حكم افنيتا ودرفنيتا.

ويذكر « افانتى سندارى كاتا » المنسوب إلى داندين أن داموادارا الجد الأكبر لداندين كان يقيم مع الملك درفينتا من سلالة الجنجا وأنه زار أيضا قصور (تشالوكيا الشرقية) فشنوفاردانا و (بلافا) «سمهافشنو». وهذا يجعل هؤلاء الحكام الثلاثة معاصرين والحقائق المعروفة من الكتابات لا يمكن أن تطبق بعضها ببعض إلى الآن بالمعلومات التى تم الحصول عليها من هذا المصدر الأدبى.

وهنالك بعض المسائل التى تتطلب إيضاحا فى العلاقات بين الجنجا والكدامبا. بينما يعتقد بعض المؤرخين أن أم أفنيتا كانت شقيقة «كرشنا فارمن» الأول، ويرى آخرون أنها كانت شقيقة كرشنافارمن الثانى

إن الكوارث فى عهد سيمامارا الثانى وحروبه مع الراشتراكوتا يجب دراستها بالتفصيل ويبدو أن أواخر سنى حكم سيمامارا هى أيضا مظلمة. وتظهر الهبات التى قدمها ماراسمها لآلور وماى أنه بدأ حكمه حوالى ٧٩٧ ميلادية. وربما عندما كان والده سيمامارا فى السجن ولكن ما الذى حدث له بعد ٨٠٢ عندما عين راشتراكوتا كمبايا حاكما على بلاد الجنجا من قبل أخيه جوفيندا الثالث؟

ونحن هنا للمرة الثانية بحاجة إلى بحث آخر فى وصول كادامبا وتشالوكيا بادامى إلى الحكم ولا بد من تقرير ما إذا كانت السلالة المتفرعة من ملوك كادامبا تحكم كافة البلاد، أم أن البلاد قسمت لأغراض إدارية؟ ولم يتضح كذلك طبيعة الصلة التى كانت بين الأمير كارافارما وابنه مدداتا وأعضاء الأسرة الآخرين.

وورد فى كتابة ايهول أن ملوك تشالوكيا حاربوا أبايكا وجوفندا. ولم تعرف هوية هذين الشخصين على وجه التأكيد. وذكرت لوحات التشلوكيا النحاسية فيما بعد أن ملوك تشلوكيا فى القرنين العاشر والحادى عشر هزموا أسرة راشتراكوتا قبل إستيلائهم على السلطة. وإذا صح هذا الادعاء فمن يكون ملوك راشتراكوتا؟

واين ازدهر حكمهم؟ وهذه مشاكل أخرى يجب حلها. والقليل أيضا يعرف عن موطن التشلوكيا الأصلى.

وإذا تناولنا تاريخ ملوك راشتراكوتا نجد أن هنالك مشكلة أساسية عن موطنهم الأصلى. وقد ظهرت نظريات كثيرة مثل راتور، وتلجو، وماراتا، وكنارى مع أن المؤرخين يتفقون عامة على أن الأسرة كانت من أصل كننادا.

وهناك مشاكل أخرى تتطلب إيضاحا فى تاريخ راشتراكوتا. ونذكر بعضها (١) قصة حياة الأعضاء الأوائل، وأين حكموا، وعما إذا كان لهم أية علاقة مع ملوك تشلوكيا العربيين قبل عهد دانتى درجا؟ (٢) مسألة نهاية سلالة دانتى درجا ومشكلة اعتلاء كرشنا الأول.

إن الأوضاع التى أدت إلى إعتلاء جوفيندا الرابع لا تزال غامضة. وكان جوفيندا الرابع هو الابن الأصغر للملك جوفيندا الثالث، واموجافارشا الثانى هو الابن الأكبر. ولم يتضح سبب اختيار جوفيندا الرابع وارثا للعرش فى حياة أخيه الأكبر. فبينما يعتقد البعض أن أموجافارشا الثانى حكم فترة قصيرة، يرى آخرون أنه لم يحكم مطلقا. ويبدو أن جوفيندا أقصاه بسهولة واغتصب العرش. ولكن لوحات كامبى وسانجلى من عهد جوفيندا الرابع تحرم أنه لم يسىء معاملة أخيه الأكبر. وهذا على أى حال يدل على إمكانية انتشار بعض الشائعات حول سوء معاملته لأخيه الأكبر مما استدعى دحض هذه الاتهامات. ولم يعرف كذلك ما إذا كان جوفيندا قد أقصى شقيقه الأكبر بصورة غير مباشرة لأن وجوده حال دون وصوله إلى العرش. وهل حارب كرشنا الثالث ضد ملوك تشيدا حين كان وليا للعهد وإذا كان قد احتل كالانجارا وتشتاركوتا فى أى وضع فعل ذلك؟

ولا بد من إزالة الغموض عن تاريخ يادافا ملوك ديفا جيرى منذ ظهورهم

حتى فترة بيلاما الخامس. والمعلومات المعروفة عن الموضوع زهيدة، إذ أنها مقتصرة على قصص خرافية، وضعها همادارى ووردت فى سجلات قليلة. ولا بد من تحديد بدء عهد سمهانا تشكل مقنع. وهناك تواريخ مختلفة عن السنة الأولى من حكمه ورد ذكرها فى الكتابات

ولا تزال قصة السلالات الصغرى الأولى كسلالة ساد راجا وسندا وسيافارا بحاجة إلى الدليل الكافى

ومن بين سلالات تيلجو فى الفترة الأولى لا يزال أصل سلانكايانا وفشنوكندين موضع الجدل. فهل كان هناك ماداهافارمن الذى قام بتضحيات كثيرة؟ ومن الذى أسقط كنجا فشنوفاردانا أو جاياسمها آخر حكام فشنوكندين؟
إن تاريخ ملوك تشالوكيا الشرقيين يخلق مشاكل عديدة لم تحل سياسية وتاريخية على السواء. والصعوبة التاريخية ليست نتيجة لأى نقص فى المادة إذ أن لوحات ملوك تشالوكيا الشرقيين تزودنا بقوائم طويلة عن تعاقبهم. ومع أن فترة حكم كل ملك معروفة بالضبط، فلم يتيسر حتى الآن وضع سجل ثابت يروى تسلسل وقائعهم التاريخيـة. فلم يعرف مثلا بالدقة تاريخ احتلال التشلوكيين لفينجى وتأسيسهم حكومة تشلوكيا الشرقية التى يعتمد عليها تاريخهم بأكمله. وقد ظن «فليت» أن نقطة البداية فى تاريخ ملوك تشالوكيا الشرقيين كانت سنة ٦١٥ ميلادية. وبهذا وضع بالسنة الأولى من حكم كبجا فشنوداردانا مؤسس السلالة تاريخا متسلسلا. وبالتالى وجدت كتابات على لوحات نحاسية بددت الشك حول صحة التاريخ الأولى الذى أقام عليه نظريته. ونظرية بعض المؤرخين تعين ٦٣١ للسنة الأولى. واعتقد آخرون أنها كانت ٦٢٤. وقد اكتشفت مؤخرا لوحة نحاسية تدل الكتابة عليها أن ٦٢٤ ربما تكون السنة الأولى فى عهد فشنوفاردانا.

ومع أن الباحث يجد مشاكل معقدة فى جميع مراحل تاريخ ملوك تشالوكيا

الشرقيين ، فهى أدق وأعم فى المراحل الأولى منها فى الأخيرة . فان أحداث السنوات الأخيرة فى حكم « أما » الثانى بعد عودته من كاليمجا والفترة ما بين إعتلاء راجاراجا الأول وتتويجه ، قد أثارت مختلف النظريات عن التسلسل التاريخى .

وإذا نظرنا إلى سلالة فيجايانجارا نجد أن هذه الفترة ليست كذلك خلوا من الصعاب بالنسبة للمؤرخ . ولا يزال أصل سلالة فيجايانجارا الأولى غامضا . وقد كتب الشىء الكثير فى هذا الصدد عن كهنة سرينجيرى مع أصل هذه السلالة . ويمكن العثور على الكتابات الأولى المتصلة بهذا فى شمال ولاية ميسور وغربها ، ولكن تفاصيل القتال الذى نشب بعد موت هارى‌هارا الثانى بين بوكا الثانى وفيروبكشا الثانى وديفارايا الأول ليست متوفرة . إن تاريخ موت « مليكارجونا » والثورة المزدوجة التى حدثت أبان حكمه هى مواضيع تتطلب التحقيق . وعدا ذلك الأحداث المتصلة بالشقاق الداخلى ، والحرب الثلاثية حول العرش فى بداية حكم اشيوتا تتطلب الايضاح . وبكلمة أخرى لا بد من الحصول على تاريخ شامل للملوك فيجايانجارا بعد سنة ١٥٦٥ ميلادية .

ويوجد مشاكل أخرى ذات طبيعة عامة بحاجة إلى حل . ولا تزال نقطة بداية عهد جنجا (الشرقى) موضع نزاع . إن تاريخ مؤسسى نظامى الفلسفة العظيمين ، وهما سنكاراتشاريا ومادفاتشاريا لم يثبت بعد . والتاريخ التقليدى الذى نسب إلى مادفا تشاريا (أى ١١١٨ — ١١٩٧ ميلادية) لا يمكن أن ينطبق مع تواريخ أتباعه التى وردت فى الكتابات . فان كتابات سريكورمام سوف تدلنا على الاستنتاج بأن فترة مادفا تشاريا كانت من سنة ١٢٣٨ حتى ١٣١٧ ميلادية .

وهذه ليست سوى مشاكل قليلة يشار إليها كيفما اتفق ويستطيع العلماء والمؤرخون الهنود التركيز عليها جنيا للفائدة .

إن مناطق الحدود لشبه القارة هذه تعرض لنا مشاكل شيقة. فقد كانت لأجيال ملتقى عناصر وثقافات وتجارات وفتوحات مختلفة، وهذه تركت آثاراً لا تمحى فى تاريخها. وينطبق هذا أيضا على البلدان التى كانت تربطنا بها صلات ثقافية فى الماضى فهل يمكننا إعادة بناء التاريخ الهندى بحق دون دراسة تاريخ الحدود الشمالية الغربية وبلدان مثل التبت، وأفغانستان، ونيبال، وبورما، وسيلان وبقية جنوب شرق آسيا، وآسيا الوسطى وحتى الصين؟

وأورد مثالين لأظهر مدى أهمية الحدود لدراسة تاريخنا حتى فى فترة أخيرة نسبيا. الأول هو كتابة سنسكريتية على الصخور من إقليم جلجيت، وحصلت على صورة طبق الأصل قبل عدة سنوات من المعتمد السياسى البريطانى فى جلجيت عن طريق المرحوم السير اوريل استين. وقد كتبت بخط «سراد» الأصلى وترجع إلى اليوم الثالث عشر للنصف اللامع من شهر بوشا سنة ٤٧. وحلى أن التاريخ هو فى عهد لوكيكا الذى حذفت فيه القرون، ولكنها من ناحية الكتابات القديمة يجب أن توضع فى القرن السابع الميلادى ربما أقدم.

والسجل يخص «باتولاديفا شاهى» الملقب باسم نافا سوريندراديتيا نامدين وبدون بناء مدينة على يد وزيره «مكاراسمها» الذى أطلق عليه جلجيتا سراجا إضافة إلى الألقاب الهندية التى حملها. وسراجا هو لقب فارسى قديم تعنى «رئيسا» أو «حاكما عسكريا»، وجلجيتا بالطبع هى جلجيت الاسم الذى يعتبر حتى الآن حديثا مع أنه مجهول الأصل وإلى جانب هذا الحاكم عرف اثنان آخران من نفس السلالة من المخطوطات البوذية المكتوبة بالسنسكريتية والتى اكتشفت فى معبد بجلجيت. وهما «سرديفا شاهى سوريندرا فكرامداتيا نامدين» و «باتولا ديفا شاهى فجراديتيا نامدين». ولم نعرف تفاصيل عن هذين الحاكمين الإيرانيين اللذين اصبحا هنديين، واللذين كانت لهما صلة بملوك كوشانا. ومن المؤكد أنهما

لم يقتما إلى عائلة حكام شاهى الهندوس فى اودابندابورا أو اوهيند على اعتبار أن جلجيت كانت خارج سلطانهما، ولكنهما كانا ينتسبان إلى حكام الشاهيين فى بلاد دارادا. ولم يعرف شىء عن هؤلاء الحكام الشاهيين من قبل باستثناء اشارات وردت فى راجاتارانجينى فى كلهانا. ولكن الأطرف هو أن باتولاديفا يدعى أن أصله من ياجاداتا، وهو النسب ذاته الذى كان يدعيه ناسكارافارمن، حاكم براج جيوتيشا أو آسام، وهو معاصر لهارشا من «قنوج». ولم يتأيد بالبرهان مع أنه يمكن الحدس لاظهار صلة ما بين هاتين الأسرتين إحداهما حكمت فى أقصى الجنوب والأخرى فى الجزء الشرقى من الهند.

والكتابة الثانية أتت من مروهونج التى كانت مرة عاصمة «اراكان» وهذه قرن اسمها بالاستعمار من الهند مدة طويلة. وقد ذهب إليها الهندوس والبوذيون برا وبحرا، مع أن تاريخ اراكان يقرن هذا الجزء غالبا بالبوذيين. ويوجد على عمود مثبت على قاعدة مرتفعة قرب معبد شتهونج فى مروهونج كتابة سنسكريتية طويلة بالخط الهندى الشرقى من القرن الثامن أو التاسع الميلادى. وهى لم تدرس حتى الآن دراسة وافية. ولم يظهر إلى اليوم سوى مذكرة قصيرة عن هذه الكتابة فى تقرير دار الآثار وإشارة إليها فى مؤلف جامعة دكا: «تاريخ بنغال». وقد بنى المعبد فى القرن السادس عشر الملك مسون، ولكن الكتابة تعود إلى فترة أبعد، ولا بد أنها أتت من «برانج» على بعد عشرين ميلا فى شرق مروهونج كما يظهر فيما يلى. وهذا السجل لسوء الحظ مشوه، والأسطر من ١٧ إلى ٣٩ تحتوى على أسماء ١٣ ملكا ينتمون إلى سلالة آيلا التى تنتهى بچندرا وأشير كذلك إلى السنوات المهمة فى كل حالة. وذكر أن ملوك السلالة وعددهم ١٦، حكموا حوالى ٢٣٠ سنة، ولكن الكتابة لم تذكر سوى ١٣ ملكا فقط، ومدة حكمهم كانت ٢١٢ عاما.

وكان أول حكام هذه السلالة دريشاندرا الذى قيل أنه أسس مدينة لم

يذكر اسمها. وتعرف أسماء أربعة من حكام هذه السلالة وهم برتيتشاندرا وديفاتشاندرا، ونتيشاندرا، وفيراتشاندرا من النقود. ولكن الكتابة لا تلقى ضوءاً على أصلهم.

أما النقوش فتذكر أسماء تسعة ملوك آخرين من سلالات مختلفة، ولم يذكر الأول باسمه وإنما بلقب ملك مدينة بارن السامية، وهو كما يتضح مشابه لاسم مدينة برانج الحديثة. أما الاسمين الآخرين فهما من أصل غير هندى، ولكن الأسماء الباقية هى هنـدية محصـة وهى دارماسورا، ومجراساكتى، ودارمافيجايا وابنـه ناريدرا فيجـايا، ودرماتشدرا المقلب ناريدراتشاندرا بن مجرا ساكتى وابنـه مهراجاديراجا اناداتشاندرا وعرف دارما تشادرا أيضا من نقوده. وحصصت الكتابة الباقيـة لوصف عظمة أناداتشاندرا وازدهار حكمه. فقـد بنى عدة معابد سمى أحـدها باسمه. وقدم لها هـدايا مختلفة بمـا فى ذلك تماثيل بودا وبوديستافا من الذهب والفضـة. ومع أنه هو نفسه كان بوديا فقد بنى ٤ معابد للبراهميين أحدها فى سوماترتا. واسمه أناندامادهافا، وآخر فى بولاكا ويسمى آنانداسيفارا — الأول كما يتضح يرمز إلى فشنو والثانى إلى شيفا. وقد فتح بيوتا لايواء الغرباء مجانا، وأصلح القصور والطرق التى بناها حكام سابقون. وأرسل كذلك هـدايا إلى أساتذة البودية فى بلاد الملك ميجـا وذكر أن أناداتشاندرا ولد فى ديفـاماداحا من أسرة درماداحا التى تذكرنا بحكام ناجا فى أوريسا الذين يروى أن مؤسس أسرتهم ولد من بيضـة دجاجة! ولكى يقيم الملك ميجا تحالفا وديا معه شيد هو الآخر معابد وغيرها فى مدينته المسماة تمراباتانا أو سرباتانا، وزوج ابنته الجميلة دندا إلى اناداتشاندرا. ولا يسعنا معرفة هـذه المدينة كما لا نعلم شيئـا عن أسرة شيماندرا التى ولد فيها ميجا. ولا تساعـدنا أسفار أراكان فى الوقوف على شخصية هؤلاء الحكام. ومع ذلك نجد فى بعض مخطوطات المهابهارتا ذكراً لشيفا وايندرا مع ملوك اندرا واندا واودرا على صلة مع تمارالبتاكا وآخرين

فى بنغال السفلى. ويبدو أن «هول» على حق فى الاعتقاد بان التسمية الصحيحة هى أندرا. وربما يكون لدينا هنا دليل على ملوك شيفاندرا الذين لم يكونوا حقيقة سلالتين مختلفتين كما افترض «هول». وليس ثمة صلة مباشرة بين تمرابتانا وتمراليبا، ولكن ألا يمكن أن يكون هؤلاء من أهالى أراكان وانحدروا فى الأصل من بنغال السفلى وأسسوا مدينة بعد موطنهم الأصلى؟ إن هذا الاقليم الذى تكثر فيه الآثار القديمة لم يكتشف تماما، ولو أن الحرب الأخيرة لم تدمر تلك الآثار فربما توفر لدينا مادة غزيرة لبناء التاريخ القديم للهند وأراكان.

وإنها الآن لحقيقة لا نزاع فيها أن نقطة محور أقدم الحضارات على سطح الأرض، هو حوض شرق البحر الأبيض المتوسط والاقليم المحاذى له مباشرة إلى الشرق وكذلك الهند والصين. والقلائل يدركون حتى اليوم الدور الحيوى الذى تلعبه أبحاث علم الآثار تعززها الفلسفة واللغات وعلم الأجناس لدراسة التاريخ وأهمية علم الآثار النسبية للمؤرخ لا يمكن المبالغة فى التأكيد عليها. ولقد حان الوقت عند دراسة تاريخ الهند وثقافتها ألا نعتمد كلية بعد الآن على المادة الموجودة فى الهند. وطبيعى أن دراسة المادة الموجودة فى الهند دراسة عميقة وشاملة هى ضرورية ولكنها بنفسها لا تكفى. فان معرفة ما قبل التاريخ للبلدان المجاورة شىء ضرورى لطالب ما قبل التاريخ. وكذلك فان معرفة التاريخ القديم فى بلدان البحر الأبيض المتوسط ضرورى لطالب التاريخ الأصلى. وحتى لطلبة الفترة التاريخية ربما لا تكون دراسة منعزلة للمصادر الأصلية وحدها كافية لايجاد حل لمشاكل كثيرة وعلينا أن نجد مفتاح حلها خارج البلاد. فواجبنا أن ندرس تاريخ البلدان المجاورة لنا والتى أثرت عليها الهند كما تركت هى أثرا فى الهند. ويجب أن تكون لدينا معرفة عميقة عن هجرة عناصر الثقافات وانتقالها، وهذه دراسات جذابة مع أنها مليئة بالصعاب.